* حق القلب فى الاختيار !!
وحق الشفاعة

عقبة بن أبى لهب مَلَك ذات يوم جارية حبشية تسمى «بَريرة» ، فزوجها عبداً من عبيده يسمى «مُغيثاً» على غير رغبة منها !!

فكانت تضيق به ، وتتبرم منه ، ولكنها مملوكة ، وأمرها ليس بيدها !!

فلما علمت السيدة عائشة أمُّ المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ بما تعانيه «بريرة» فى هذا الزواج اشترتها وأعتقتها ، وأصبح من حقها فسخ عقد الزواج ، أو إقراره بعد أن نالت حريتها !!

لكن بريرة تختار الفسخ بعد أن قال لها الرسول ﷺ «**ملكت نفسك فاختارى**» فاختارت أن تنجو بنفسها من هذا الزواج الذى لا سعادة لها فيه ، فكان زوجها بعد هذا الفراق يمشى خلفها ويبكى ، ويسترضيها فلا ترضى عنه !!

وكان يرثى له كل من يراه خلفها باكياً !! رآه ﷺ مرة ــ وتلك حاله ــ فقال :

«**ألا تعجبون من شدة حُبِّه لها وبغضها له !!**»

ثم قال لها النبى ﷺ «**اتقى الله ، فإنه زوجك وأبو ولدك**» .

فقالت : أتأمرنى يارسول الله ؟ !

ــ فقال : «**لا .. إنما أنا شافع**» .

ــ فقالت : «إذن ، فلا حاجة لى فيه» . [أخرجه الخمسة إلا مُسْلِماً]

★★★

وهكذا تقررت حرية المرأة فى أمر نفسها .. حرية تكفل للبيت النعيم ، وتوفر للمرأة الهناءه .. أى سماحة فى هذه الشفاعة ؟ !!

وأى سماحة فى تقبل ردها ؟ !!

وأى قرار خطير ذلك الذى تم اتخاذه بأناة حين اعترف بحق القلب فى الاختيار ، وقدمه على الشفاعة ، وإن كانت شفاعة لاترد !!

صلى الله عليك يا سيدى يارسول الله أعطيت المثل والقدوة.ألا ليت أولياء الأمور يعون هذا الدرس !!

* والله ماعندها مال ولاجمال فلم ترغب فى زواجها ؟!

قال مُتَمّم العبدى :

خرجت من مكة زائراً لقبر النبى ﷺ وإذا بجُوَيْرِيَةٍ[1] تسوق بعيراً ، وتترنم بصوتٍ مليح قائلة :

ألا أيهـا البيـت الذى حيـل دونه بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهل

فقلت لمن هذا الشعر يا جُوَيرية ؟

قالت : أما ترى تلك الكُوَّة المَوَقَّاة بالكِلّة الحمراء[2] ؟

قلت : أراها .

قالت : من هناك نهض هذا الشعر !

قلت : أوَ قائِلُهُ فى الأحياء ؟

قالت : هيهات ! لو آن لمَيِّتٍ أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك !

فأعجبنى فصاحة لسانها ، ورقة ألفاظها . فقلت لها :

ألك أبوان ؟

فقالت : فقدت خيرَهما وأجَلَّهما ، ولى أم !

قلت : وأين أمك ؟

---

(١) جارية صغيرة . فتاة .

(٢) الكوة : الفتحة . المَوقاة : المغطاة . بالكِلّة : بالستارة .

قالت : بمرأى ومَسْمَع[1] .

فإذا امرأة تبيع الخرز على ظهر الطريق ، فأتيتها فقلت :

ياأمَّتاه ، استمعى منى .

فقالت الجويرية : فاستمعى من عمىّ مايلقيه عليك .

فقالت الأم : هِيهِ[2]، هل من خبر ؟ !

فقلت : أهذه ابنتك ؟

قالت : كذا كان يقول أبوها .

قلت : أفتزوجينها ؟

قالت : أَلِعِلّةٍ رغبت فيها ؟ فماهى ؟والله ماعندها مال ولا جَمال !

قلت : لحلاوة لسانها ، وحسن عقلها ! قالت : أينا أملك بها ؟ أنا أم هى بنفسها ؟ !

قلت : بل هى بنفسها .

قالت : فإيّاهَا فخاطب .

فقلت : لعلها أن تستحى من الجواب فى مثل هذا !

فقالت : ماذاك عندها ، أنا أَخْبَرُ بها .

فقلت : ياجارية ، أما تستمعين مايتقول أمك ؟

قالت : قد سمعت .

قلت : فما عندك ؟

قالت : أَوَ لَيْس حَسْبُك أَنْ قلت : إنى أستحى من الجواب فى مثل هذا ؟ فإن كنتُ أستَحى فى شىء فلِمَ أفعله ؟ !

---

(١) قرية منا .

(٢)هِيهِ : كلمة تقال للاستزادة من الكلام .

أتريدُ أن تكونَ الأعلى وأكونَ بِساطك ؟

لا والله لا يَشُدَّ علىَّ رجل حِوَاءه[1] ، وأنا أجد مَذْقَةَ لبن[2] أو بقلة أُلَيّن بها مِعَاى[3] .

فورد علىَّ أعجب كلام على وجه الأرض .

قلت : أتزوجُك والإذن فيه إليك ، وأعطى الله عهداً أنى لا أقربك إلا عن إرادتك !

قالت : إذن والله لا تكون لى فى هذا إرادة أبداً ، ولا بعد الأبد إن كان بعده بَعْد !!

فقلت : قد رضيتُ بذلك .

فتزوجتُها ، وحملتُها وأمَّها معى إلى العراق ، وأقامت معى نحوا من ثلاثين سنة ما ضممت عليها حِوَاىَ[4] قَطُّ .

وكانت قد علقت[5] من أغانى المدينة أصواتاً كثيرة ، فكانت ربما ترنمت[6] بها ، فأشتهيها ، فقلت :

دعينى من أغانيك هذه ، فإنها تبعثنى على الدُّنو[7] منك . فما سمعتها رافعة صوتها بغناء بعد ذلك ، حتى فارقت الدنيا ، وإن أمها عندى حتى الساعة* .

---

(١) الحِواء : المكان الذى يحوى الشىء ، وبيوت النّاس من الوبر مجتمعة على ماء . أى لا يحمعنى به مكان ، ولا يحتوينى ويضمنى إليه .

(٢) مذقة لبن : طائفة من اللبن ممزوجة بالماء .

(٣) المعى : المَصير . واحد المصران . وجمعه أمعاء .

(٤) لم أقترب منها ، أو أعاشرها .

(٥) علقت : أحبت وهوت

(٦) ترنمت : تغنت .

(٧) الدنو : القرب .

(*) من كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى .

* خمسٌ غير مرغوب فيهن !

قال بعضهم لولده :

يا بنى :

١ ــ لا تتخذها حَنّانَة .

٢ ــ ولا مَنّانَة .

٣ ــ ولا أنّانَة .

٤ ــ ولا عُشْبَةَ الدار .

٥ ــ ولا كُبّة القفا . [إلى الهامش من ١ ــ ٥]

* أى سِنّ فى النساء تحبّ*؟!

اجتمع خالد بن صفوان وأناس من تميم فى جامع البصرة وتذاكروا النساء ، فجلس إليهم أعرابى من بنى العنبر فقال العنبرىّ قد قلت شعراً فاسمعوا :

بنت عشر :

إنّى لمُهْدٍ للنساءِ هديةً ... سيَرْضَى بِهَا غُيَّابُهَا وشُهُودُها(٦)

إذا ما لَقِيتُم بنت عَشْر فإنها ... قليلٌ ــ إذا ألْقَى الحزَوَّرَ ــ جُودُها(٧)

يَمُدّ إليها بالنّوال فتأتِلى ... وتَلْطِمُ خَدَيْهَا إذا يستزيدُها(٨)

(١) الحنانة : التى لها ولد من سواه فهى تحن عليهم .

(٢) المنّانة : التى لها مال ؛ فهى تمن على زوجها كلما أهوى إلى شىء من مالها .

(٣) الأنّانة : التى مات عنها زوجها فهى إذا رأيت الزوج الثانى أنت ، وقالت : رحم الله فلاناً .

(٤) عشبة الدار يريدالهجينة . تنبت فى دمنة الدار ، وحولها عشب فى بياض الأرض ، فهى أفخم منه وأضخم لأنها غذتها الدمنة ، وذلك أطيب للأكل ــ رَطْباً ويابساً ، لأنه نبت فى أرض طيبة وهذه نبتت فى دمنة ؛ فهى منتنة ــ رطبة ، وإذا يبست صارت حتاتاً وذهب بقلها فى الدمنة (إياكم وخضراء الدمن = وهى المرأة الحسناء فى المنبت السوء) .

(٥) كُبّة القفا : هى التى يأتى زوجها أو ابنها الناس ، فإذا انصرف من عندهم قيل : لقد كانت لى علاقة بامرأة هذا أو أمه .

(*) ذيل الأمالى .

(٦) الغُيّاب : جمع غائب ضد الشاهد . والمقصود : يرضى بها الجميع .

(٧) الحَزَوّر : الرجل القوى . يقل عطاؤها للرجل القوى .

(٨) النوال : العطاء . وحين يطلب منها زيادة تلطم خديها . وتأتلى : تَحْلِف وتتمنع .

بنت عشرين :

ولكن بنفسى ذاتُ عشرينِ حِجَّةً ... فتلك التى أهوبها وأُرِيدُها[1]

ذات الثلاثين :

وذاتُ الثلاثين التى ليس فوقها ... هى النّعْتُ لم تكْبَر ولم يَعْسُ عُودُها[2]

ذات الأربعين :

وصاحبْ ذات الأربعين بغبطةٍ ... وخيرُ النساء سَرْوُها وخَرُودُها[3]

صاحبة الخمسين :

وصاحبةُ الخمسين فيها مَنَافِع ... ونعمَ المتاعُ للمُفيدِ يفيدُها

صاحبة الستين :

وصاحبةُ الستين تغدو قويةً ... على المالِ والإسلامِ صُلْبٌ عمودُها

صاحبة السبعين :

وإما لَقِيتُم ذات سبعين حجةً ... هدِيًّا فقل : ها خَيْبَةٌ يستفيدها

ذات الثمانين :

وذات الثمانين التى قد تَسَعْسَعَت ... من الكبرَ العاسى وناسَ وريدُهَا[4]

صاحبة التسعين :

وصاحبة التسعين فيها أذًى لهم ... فتحْسَب أن الناسَ طُرًّا عبيدُها[5]

صاحبة المائة :

وإن مائة أوفت لأخرى فجئتها ... تجدْ بيتها رثًّا قصيراً عَمُودُها

---

(١) الحِجة : بكسر الحاء : السنة .

(٢) هى النعت : غاية فى الجمال . ولم يَعْسُ : لم يغلظ ويبس .

(٣) الغبطة : حسن الحال والمسرة . سروها : من ذوات المروءة والسخاء والشرف . أو من كانت كشجرة السرو الذى تتخذ منه القِسىّ . والخرود : المرأة الحيِيّة ، والبكر لم تُمَسّ .

(٤) تسعسعت : كبرت حتى هرمت وولت وقاربت الانتهاء . ويقال عسى فلان عَسْوا : أسَنّ وكبر . وناس وريدها : تحرك وتذبذب

(٥) طُرًّا : جميعاً وقاطبة .

فقال خالد : لله درُّك ! لقد أتيت على ما فى نفوسنا !

* أى الأزواج يعجبك* ؟ !

كان قَيْلٌ[1] من أقيال حمير مُنعَ الولد دهراً ، ثم ولدت له بنت ، فبنى لها قصراً مُنيفًا[2] بعيداً من الناس ، ووكّل بها نساء من بنات الأقيال يخدمنها ، ويؤدبنها حتى بلغت مبلغ النساء ، فنشأت أحسن منشأ وأتمّه فى عقلها وكمالها ، فلما مات أبوها ، ملكها أهل مِخلافها[3] ، فاصطنعت النسوة اللاتى ربينها[4] ، وأحسنت إليهن ، وكانت تشاورهن ولا تقطع أمراً دونهن .

فَقُلْنَ لها يوماً : يابنت الكرام ! لو تزوجت لتم لك الملك .

فقالت : وما الزوج ؟

فقالت إحداهن :

الزوج : عزّ فى الشدائد ، وفى الخطوب مساعد ! إن غضبتِ عطَف ، وإن مَرِضتِ لطف !

قالت : نعم الشيء هذا !!

فقالت الثانية :

الزوج : شعارى حين أصرُد[4] ، ومُتّكئى حين أرقد ، وأنسى حين أفرد[5] !

فقالت : إن هذا لمن كمال طيب العيش !

(*) الأمالى لأبى على القالى .

(١) القَيْل : الملك من ملوك حمير يتقيل من قبله من ملوكهم أى يشبه والقيل أيضاً : الرئيس . وسمى القيل قيلا لأنه إذا قال نفذ قوله .

(٢) قصر مُنيف : طويل فى ارتفاع .

(٣) المخلاف : الكورة ، والبلد (٣) اصطنعت النسوة : اختارتهن .

(٤) أصرد : أبرد . والشعار مايلبس تحت الدثار .

(٥) لايؤنسنى فى انفرادى ووحدتى إلا هو .

فقالت الثالثة :

الزوج : لما عنانى[1] كاف ، ولما شفّنى[2] شافٍ يكفينى فقد الأُلاف[3] .

ريقهُ كالشّهد ، وعِناقُه كالخُلد ، لا يُمَلّ قرانه ولا يُخاف حِرانُهُ[4] !

فقالت : أمهلننى أنظر فيما قُلْتُنّ !

فاحتجبت عنهم سبعاً ثم دعتهن ، فقالت : قد نظرت فيما قلتن فوجدتنى أُمَلّكهُ رِقّى[5] وأبثه باطلى وحقّى .

فإن كان محمودَ الخلائق[6] ، مأمون البوائق[7] فقد أدركت بغيتى ، وإن كان غير ذلك فقد طالت شِقْوتى !

على أنه لا ينبغى إلا أن يكون كُفْئاً كريماً يسود عشيرته ، ويرُب فصيلته[8] .

لا أتقنع به عاراً فى حياتى[9] ، ولا أرفع به شنارًا[10] لقومى بعد وفَاتى .

فعليكُنّه فابغينه[11] وتفرقن فى الأحياء ، فأيتكن أتتنى بما أحب فلها أجزل الحِباء[12] وعلىّ لها الوفاء !

فخرجن فيما وُجِّهْنَ له ، وكن بنات مقاول[13] ذوات عقل ورأى .

فجاءتها إحداهن ، وهى « عَمَرّطة بنت زرعة بن ذى خنفر » فقالت :

---

(١) عنانى : أهمنى وشغلنى .

(٢) شفّنى : أصابنى بالهزال.

(٣) الأُلاّف : جمع أليف . وهم من نألفهم ويألفوننا.

(٤) الحِران : الغضب والامتناع والمخالفة . ويقال حرن الفرس فهو حرون : لا ينقاد .

(٥) أملكه رِقّى : أعطيه الحق فى تملكى .

(٦) الخلائق : جمع خليقة ما هو عليه من خُلق .

(٧) البوائق : جمع بائقة وهى الداهية .

(٨) يرُبُّ : يجمع ويصلح .

(٩) لا ألبس العار بسببه .

(١٠) الشنار : العيب والهلاك .

(١١) فَعَلَيْكُنّه : الزمنه وابحثن عنه .

(١٢) الحِباء : العطاء والمنحة والهدية والمكافأة .

(١٣) لهن لسان يحسن الحديث والمقاول : جمع مقول .

قد أصبت البغية[1] . فقالت : صِفيه ولا تُسَمّيه .

فقالت : غَيثٌ فى المَحْل[2] ، ثمالٌ فى الأزْل[3] ، مفيد مبيد ، يصلح الثائر ، وينعش العاثر ، ويغمر النَّدِىّ ، ويقتاد الأبىّ .

عِرضه وافر ، وحسبه باهر .

غض الشباب ، طاهر الأثواب !

قالت : ومن هو ؟

قالت : سبرة بن عوّال بن شداد بن الهمال .

ثم خلت بالثانية ، فقالت أصبت من بغيتك شيئاً ؟

قالت : نعم .

قالت : صفيه ولا تسميه .

قالت : مُصَامِصُ النسب[4] ، كريم الحسب ، كامل الأدب . غزير العطايا ، مألوف السجايا[5] .

مُقتبل الشباب ، خصيب الجناب[6] .

أمره ماضٍ ، وعشيرهُ راض .

قالت : ومن هو ؟

قالت : « **يَعْلَى بن هزّال بن ذى جدن** » .

ثم خلت بالثالثة فقالت : ما عندك ؟

قالت : قد وجدته كثير الفوائد ، عظيم المراقد يُعطى قبل السؤال ، ويُنيلُ قبل أن يُستَنَال .

---

(١) ما تبغين وما تطلبين .

(٢) المَحْل : القحط والجفاف ، والغيث : المطر .

(٣) ثمال القوم : غياثهم الذى يقوم بأمرهم . والأزل : الضيق والشدة .

(٤) المصَامِص : الخالص من كل شىء . يقال : «هو مُصَامِصٌ فى قومه أى زاكى الحسب خالصه .

(٥) السجايا : جمع سجية . الصفات والأخلاق والطبيعة.

(٦) الجناب : ما قرب من محلة القوم . وعكس خصيب : جديب .

فى العشيرة مُعَظّم ، وفى النّدِىّ مُكرّم[1] ، جمّ الفواضل[2] كثير النوافل ، بذّال أموال ، محقق آمال ، كريم أعمام وأخوال .

قالت : ومن هو ؟

قالت : « رواحة بن خمير بن مضحى بن ذى هُلاهِلَة » .

فاختارت « يَعْلى بن هزال » فتزوجته ، فاحتجبت عن نسائها شهراً ، ثم برزت لهن ، فأجزلت لهن الحِباء[3] ، وأعظمت لهن العطاء .

* أيهما تفضل المرأة ؟!

عن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال :

كان النساء يجلسن لخُطّابهن ، فكانت امرأة من بنى سَلُول تُخْطَب ، وكان عبد الله بن عاصم السَّلولى قد تقدم لخِطبتها ، فكان إذا دخل عليها تقول له : « فِداك أبى وأمى !! »[4] وتُقبِلُ عليه تُحَدّثه !

وفى نفسِ الوقت كان هناك شابّ من بنى سلول يخطبها .. !

فإذا دخل عليها الشابّ ، وأقبل عبد الله ، تظاهرت بكراهية الشاب وقالت له :

« قُمْ إلى النّار ! »[5] .

وأقبلت تحدث عبدَ الله بحديثها !

وذات يوم بلغ عبدَ الله أن الفتى تزوجها !

فأنشأ يقول :

أوْدَى بحب سُلَيْمى فاتكٌ لَقِنٌ كحيَّةٍ برزت من بين أحجار[6] !

(١) الندى : النادى .

(٢) حجم : كثير . والفواضل : صاحب فضل

(٣) الحِباء : العطاء .

(٤) كناية عن المحبة. (٥) كناية عن الكراهة .

(٦) أودى به : قضى عليه ، وأضاعه .

لَقِن : حسن التلقن لما يسمعه وسريع الفهم ، وناعم الملمس .

إذا رأتنى تفدّينى[1] وتجعله فى النـار ياليتنى المجعولُ فى النارِ!!

ثم قال :

ماذا تظن سُلَيْمى إن أَلَمَّ بها مُرَجَّلُ[2] الرأس ذو بُرْدَيْنِ[3] مزّاحُ
حُلْوٌ فُكَاهتهُ خَزٌّ[4] عمامتهُ فى وَسامتــه للقــلب مِفْتــاحُ[5]

* لاتزوجنى رجلاً حتى تعرضه* علىّ

قالت هند لأبيها عُتْبة بن ربيعة :

إنى امرأة قد ملكت أمرى ، فلا تُزَوجْنى رجلاً حتى تعرضَه على .

قال : لك ذلك .

فقال لها ذات يوم : إنه قد خطبك رجلان من قومك ، ولست مُسَمّيًا لك واحداً منهما حتى أصفَه لك .

أما الأول : ففى الشرف الصميم ، والحَسَب الكريم ، تخالين به هَوَجاً من غفلته ، وذلك إسجاح[6] من شيمته ! حَسَن الصّحابة ، سريع الإجابة ، إن تابعتِه تَبِعك ، وإن مِلْت كان معك ، تقضين عليه فى ماله[7] ، وتكتفين برأيك عن مشورته[8] !

وأما الآخر ففى الحسَب الحسيب ، والرأى الأريب[9] .. بدرُ أرومتِه[10] . وعِزُّ عشيرته ، يؤدّبُ أهلَه ولا يؤدبونه ، إن اتبعوه أسهل بهم ، وإن جانبوه توعّر عليهم[11] !

---

(١) تفدينى : تقول : فداك أبى وأمى . وتجعله فى النار . تقول له : قم إلى النار .
(٢) المرَجّل من الشعر : المسرّح .
(٣) البُرد : ثوب مخطط (٤) الخز : الحَرير .
(٥) العقد الفريد بتصرف .
(*) الأمالى لأبى على القالى .
(٦) الإسجاح : السُّهولة .
(٧) تحكمين وتتحكمين .
(٨) الرأى لك ، فهو يفوض إليها أمره .
(٩) فى أعلى الشرف . وصاحب رأى ناضج ذكى .
(١٠) الأرومة : الأصل .
(١١) سهل مع السهل ، صعب مع من يخالفه ويعصاه .

شديد الغَيْرة .. سريع الطّيْرة[1] .. صعب حجاب القبة[2] .. إن حاجّ فغير منذور[3] ، وإن نوزع فغير مقهور !

وقد بينت لك كليهما .. فقالت :

أما الأول : فسيد مِضياع لكريمته ، مُوَاتٍ لها فيما عسى إن تعتص[4] أن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت خبائها .

إن جاءته بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت .

اطوِ ذكر هذا عنى ولا تُسَمِّه لى !

وأما الآخر : فبَعْل الحرة الكريمة ، إنى لِأَخْلَاقِ هذا لوامقة[5] وإنى له لموافقة ، وإنى لآخذُهُ بأدب البعل مع لزومى قُبتى ، وقلة تلفُّتى .

وإن السليل بينى وبينه لحرىٌّ أن يكون المدافع عن حريم عشيرته الزائد عن كتيبتها ، المحامى عن حقيقتها ، المثبّت لأرومتها ، غير مواكِلٍ ولا زُمّـيْل[6] عند صعصعة[7] الحروب .

قال : ذلك سفيان بن حرب .

قالت : فزوجه ، ولا تُلْقِ إلقاء السلس ، ولا تَسُمْه سومَ الضّرِس[8] ، ثم استخر الله فى السماء يخر لك فى القضاء !

* فيك بِحمد الله خِصال لا نرضاها لبنات إبليس !

خطب خالد بن صفوان امرأةً فقال :

أنا خالدُ بن صفوان .

---

(١) الطيرة : الخفة والتطير . (٢) الحجاب الساتر . والقبة الخيمة

(٣) منذور : مُحْتَقَر .

(٤) تعتص : تشتد . ومُواتٍ : موافق ، ومهيأ .

(٥) وامقة : محبة ومتطلعة .

(٦) الزُّمّيْل : الجبان الضعيف .

(٧) الصعصعة : الاضطراب .

(٨) الضّرِس : سيىء الخلق .

والحَسَبُ على ماقد عَلِمْتيه .

وكثرة الحالِ على ماقد بلغكِ .

وفىّ خصال سأبينها لك فتُقْدِمِينَ علىَّ أو تدعين قالت : وما هى ؟ !

قال :

إن الحُرّة إذا دنت منى أمَلَّتْنى [1] !

وإذا تباعدت عنى أعَلَّتنى [2] !

ولا سبيلَ إلى درهمى ودينارى !

ويأتى علىّ ساعةٌ من المَلال لو أن رأسى فى يدى نَبَذْتهُ !

فقالت :

قد فهمنا مقالتك ، ووعينا ماذكرت ، وفيك بِحمد الله ــ خصال لا نرضاها لبنات إبليس !

فانصرفْ رحمك الله !!

* ثلاث عربيات يصفن مايحببن من الأزواج *

قالت عجوز من العرب لثلاث بنات لها :

صِفْن ماتُحْبِبْن من الأزواج :

فقالت الكبرى :

أريده .. أروع [3] بسّامَا ، أحذّ مِجْذامَا [4] .. سيّد ناديه [5] ، وثمالَ عافيه [6] ، ومُحْسِبَ [7] راجيه .. فناؤه رحب [8] ، وقياده صعب !

---

(١) جعلتنى أمَلّها . (٢) أعلتنى : أمرضتنى .

(*) الأمالى لأبى على القالى .

(٣) الأروع والنجيب واحد وهما الكريم . وقيل الأروع الذى يروعك جماله .

(٤) الأحذ : الخفيف السريع . والمجذام بكسر الميم من الجذم وهو القطع . تريد أنه قطع للأمور.

(٥) النادى والنَدِى : المجلس.

(٦) الثمال : الغِياث . وثمال القوم غياثهم ومن يقوم بأمرهم . وعافيه الذين يعفونه : أى يأتونه

(٧) محسب راجيه : أى كافيه .

(٨) فناؤه رحب : أى واسع .

وقالت الوسطى :

أريده .. عالى البناء .. مصمم[١] المضَاء .. عظيم نار .. متمم أيسار[٢] .. يُفيد ويُبيد .. ويبدىء ويعيد .

هو فى الأهلِ صَبىّ ، وفى الجيش كَمِىّ[٣] .

تستعبده الحليلة[٤] ، وتُسَوّدُه الفضيلة !

وقالت الصغرى :

أريده .. بازل عام[٥] .. كالمهند الصِّمصام .. قرانه حُبور .. ولقاؤه سرور .. إن ضم قضقض[٦] .. وإن دسر[٧] أغمض .. وإن أخلّ أحمض .

قالت أمها : فُضّ فوك ! لقد فررت لى شِرّة الشباب جذعة[٨] !

* لا أُريـــده ..!

روى ابن الأعرابى قال :

قيل لابنه الخُسّ[٩] :

ألا تتزوجين ؟ !

قالت : بلى ..

---

(١) المصَمّمُ من الرجال الذى يمضى فى الأمور لايرد عزمه شىء .

(٢) أيسار : جمع يسر ، وهو الذى يدخل مع القوم فى القداح . وهو مدح .

(٣) الكَمِىّ : الجرىء المقدم كان عليه سلاح أوْلا .

(٤) الحليلة : الزوجة . وتطلق أيضاً على جارية الرجل التى تحالّه وتنزل معه .

(٥) البازل : إذا دخل الجمل فى التاسعة وبزل نابه فهو بازل ، فإذا دخل فى العاشرة فهو مخلف ثم ليس له اسم يعد الإخلاف ولكن يقال : بازلُ عامٍ وبازل عامين ، ومُخْلف عام ، ومخلف عامين . والمقصود : تام الشباب كامل القوة كالبعير .

(٦) قضقض : أى حَطَم كما يُقَضْقِضُ الأسد فريسته وهو أن يحطمها وينفضها فتسمع لعظامها صوتاً

(٧) دسر : دفع .

(٨) إذا استكمل البعير الرابعة ودخل فى الخامسة فهو جذع والأنثى جذعة . ويقال : أعدت الأمر جذعاً : جديداً كما بدأ .. أى قلّبت على الماضى ، وذكرتينى بالذى مضى !

(٩) هند بنت الخس الإيادية المعروفة بفصاحتها .

لا أريد أخا فلان .

ولا ابن فلان ..

ولا الظّريفَ المتظَرِّف .

ولا السّمين الألْحَم[1] .

ولكن أُرِيدهُ .. !

ولكن أريدُه كَسُوبًا إذا غدا .

ضَحُوكًا إذا أتى .

وكان أبوها قد كُفّ بصره فقال :

ما بال ناقتك ؟ قالت :

عينها هاجّ[2] .

وملؤها راجّ .

وتمشى وتَفَاجّ[3] .

فقال : يا بنية ، اعقليها ، فعقلتها .

فقالت : ما صْنعت حتى اضْطَرَمَتْ[4] .

* لون من الرجال بغيض إلى النساء !!

قال الهيثم :

كان امرؤ القيس مُبَغّضًا إلى النساء فبينما هو يوماً مع امرأة قالت له :

قُمْ يا خيرَ الفِتيان قد أصبحت !

فلم يقم ، فكررت عليه ذلك ؛ فقام فوجد الليلَ بحاله ، فرجع إليها ، فقال لها :

---

(١) كثير اللحم .

(٢) هاج : أى غائرة . (٣) تفاج : تفرج بين رجليها . (٤) تعنى أنها تطلب الفحل .

ما حملك على صنعتِ ؟ !

قالت :

حملنى عليه :

- أنك ثقيل الصدر !
- خَفِيفُ العَجُز !
- سريعُ الإراقة !

* لون من الرجال يأباه النساء !!

حدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال :

أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال :

سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهى تقول :

والله إن شُرْبَكَ لاشْتِفَاف[1] !

وإن ضِجعَتَك لانجعاف[2] !

وإن شِمْلتَك لالتفاف[3] !

وإنك لتَشبع ليلة تُضاف !

وتنام ليلة تَخَاف !!

* ولون من النساء يأباه الرجال !!

فقال لها :

والله إنك لكَرْواء الساقين[1] !

قَعْواء الفخذين[2] !

---

(١) الاشتفاف : شرب مافى الإناء كله فلا تبقى منه بقية .

(٢) قال أبو على : الانجعاف : الانصراع وجعفه : كوّره . تصفه بشدة الوخم .

(٣) الشملة : الاشتمال على الرداء . والالتفاف بالرداء ضعف ومسكنة .

(٤) الكرواء : الدقيقة الساقين .

(٥) القعواء : متباعدة مابين الفخذين . الفجواء .

مَقّاء الرّفغَيْن[1] ! !
مُفَاضَةَ الكشحين[2] !
ضيفُكِ جَائع !
وشَرُّك شائع !

* حديث ابنة الخس مع أبيها حول خير الرجال وخير النساء

قال : فأى الرجال خير ؟

قالت :

خير الرجالِ المرهّقُون كما خير تلاع الأرض أوطؤها[3]

قال : أيهم ؟

قالت : الذى يُسْأل ولا يَسأل ، ويُضيف ولا يُضَاف !

ويُصْلِحُ ولا يُصْلَح !

قال : فأى الرجال شر ؟

قالت : التُّطَيْطُ[4] النُّطَيطَ[5] الذى معه سُوَيط[6] الذى يقول : أدركونى من عبد بنى فلان ، فإنى قاتله ، أو هو قاتلى !

قال : فأى النساء خير ؟

قالت : التى فى بطنها غلام ، يُحمل على وركها غلام ، يمشى وراءها غلام !

---

(١) المقّاء : الدقيقة الفخذين وكذلك الرّفغاء . ومن علماء اللغة من يقول : إن المقّاء الطويلة .
(٢) المفاضة : المسترخية . والكشحان : الخاصرتان وهما الأيطلان .
(٣) المرهّق : الكريم الجواد الذى يغشاه الضيفان .
(٤) التطيط : الذى لاحية له .
(٥) النطيط : الهِذْرِيَان وهو كثير الكلام يأتى بالخطأ والصواب على غير معرفة !
(٦) تصغير سوط . كناية عن حقارة شأنه وقلة سلاحه .

* السعيدة والشّقِيّة

قال ابن قتيبة فى عيون الأخبار :

قالت جارية من العرب لبنات عمّ لها :

السعيدة : التى يتزوجها ابن عمها .. فمَهْرُها بتيسين ، وكلبين ، وعَيْرين .

فيَنبّ التَّيْسَان[1] .

وينَبح الكلبان .

ويَنْهَق العَيْران .

والشقية : التى يتزوجها **الحضَرِىّ** .

فيطعمها الخمير .

ويُلْبسها الحرير ..

ويحملها ليلة الزفاف على سرير[2] .

* استشارة فى امرأة يتزوجها* !

أتى رجل ابنة الخُسّ يستشيرها فى امرأة يتزوجها فقالت : انظر رمكاء جسيمة[3] !

أو بيضاء وسيمة !

فى بيت جدٍّ ، أو بيت حَدٍّ أو بيت عز[4] .

قال : ماتركتِ من النساء شيئاً !

قالت : بلى . شر النساء تركت :

---

(١) يَنِبّ : يصيح عند الهياج ، والعَيْر : الحمار

(٢) بالأصل : على «عود» ، تعنى «إكافا أو سرجا» أى برذعة . وقد غيرته بكلمة «سرير» مراعاة للسجع .

(*) الأمالى لأبى على القالى .

(٣) الرمكاء : السمراء ، والرمكة لون الرماد .

(٤) الجَدّ : المكانة والمنزلة عند الناس ، والحظ والسعادة والغنى . والحَدّ : المنع .

السويداء الممراض !

والحميراء المحياض[1] !

الكثيرة المِظاظ[2] !

وقيل لابنة الخُسّ : أى النساء أسوأ ؟

قالت : التى تقعد بالفِناء ، وتملأ الإناء ، وتمزق ما فى السقاء !

التى إذا مشت أغبرت[3] !

وإذا نطقت صرصرت[4] !

متوركة جارية ، فى بطنها جارية ، يتبعها جارية (أى هى مئنات) .

* هَمّ النفس ومناها !!

قيل لأعرابية : أتحسنين صِفَةَ النساء ؟

قالت : نعم .

قيل لها : صفى لنا امرأة كاملة !

قالت :

إذا سحرت عيناها !

وسهلَ خداها !

ونهدَ ثدياها !

ولطفت كفاها !

وفعم ساعداها !

وعظم وَرِكَاها !

---

(١) المحياض : كثيرة الحيض

(٢) المِظاظ : المُشَارَّة والمشاقّة .

(٣) أغبرت : أثارت الغبار فى مشيتها .

(٤) صرصرت : أحَدَّت صوتها .

والتفّت فخذاها !

وخدِل ساقاها[1] !

فتلك هم النفسِ ومُناها !!

* أحب النساء إلى الرجال* ؟!

كان لرجل من مقاول[2] حمير ابنان قد برعا فى العلم والأدب ، وكان اسم أحدهما عمرو ، واسم الآخر ربيعة .

فلما بلغ الشيخ أقصى عمره دعاهما ليبلوَ عقولهما[3]، ويعرف مبلغ علمهما .

فقال لعمرو ــ وكان الأكبر : ياعمرو ، أخبرنى عن أحب النساء إليك ؟

فقال : الهركولة[4] اللفّاء[5] ، الممكورة[6] الجيداء[7] !

التى يشفى السقيمَ كلامُهَا ، ويبرئ الوَصِبَ إلمامُها !

التى إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت !

وإن استعتبتَها أعتبت .

الفاترة الطرف ، الطّفلَةُ الكف[8] ، العميمة الرّدْف !

قال : ماتقول ياربيعة ؟

قال : قد نعتَ فأحسن .. وغيرها أحبُّ إلىّ منها !

---

(١) خدل ساقاها : امتلأتا . وكذلك فعم .

(*) أبو على فى الأمالى .

(٢) مقاول : جمع مِقول كمنبر : الملك من ملوك حمير يقول مايشاء فينفذ كالقيل . أو هودون الملك الأعلى .

(٣) ليبلوَ يختبر .

(٤) الهركولة : العظيمة الوركين .

(٥) اللفاء : الملتفة باللحم .

(٦) الممكورة : المطوِيّة الخلق .

(٧) الجيداء : طويلة العنق .

(٨) الطَّفْلَةُ الكف : هى الرَّخصة الطرية الناعمة البضّة .

قال : ومن هى ؟ قال :

- الفتّانةُ العينين !
- الأسيلةُ الخدّ !
- الكاعِبُ الثديين !
- الرّدَاح الوَرِكين[1] !
- الشاكرة للقليل !
- المساعدة للخليل !
- الرخيمة الكلام[2] !
- الجَمّاء العظام[3] !
- العذبةُ اللِّثام[4] !
- الكريمة الأخوالِ والأعمام !

* فصاحتها رشحتها للزواج من المأمون !

عن أبى عبد الله النّمَيْرى قال :

كنت يوماً مع المأمون ، وكان بالكوفة ، فركب للصيد ، ومعه سرية من العسكر ، فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة[5] فأطلق عنان جواده ، وكان سباقاً ! فأشرف على ماء نهر الفرات فإذا هو بجارية عربية كأنها القمر ليلة تمامه ، وبيدها قربة ملأتها ماءً وحملتها على كتفيها ، وصعدت من حافة النهر ،

---

(١) الرداح : الثقيلة العجيزة ، الضخمة الوركين .
(٢) الرخيمة الليّلة الكلام .
(٣) الجمّاء العظام : التى لايوجد لعظامها حجم .
(٤) العذبة اللثام : طيبة رائحة الفم .
(٥) ماطردت من صيد أو غيره .

فانحل وكاؤها [1]، فصاحت برفيع صوتها :

يا أبت ! أدرك فاها !

قد غلبنى فوها !

ولا طاقة لى بفيها [2] !

قال : فتعجب المأمون من فصاحتها ، ورمت الجارية القربة من يدها !

فقال لها المأمون : يا جارية ، من أى العرب أنت ؟

فقالت : أنا من بنى كلاب .

قال : وما الذى حملك على أن تكونى من الكلاب ؟ !

قالت : والله لست من الكلاب ، وإنما أنا من قوم كرام ، غير لئام ، يُقْرون الضيف [3] ، ويضربون بالسيف !

ثم قالت : يا فتى ، من أى الناس أنت ؟

فقال : أوَ عندك علمٌ بالأنساب ؟

قالت : نعم .

قال لها : أنا من مضر الحمراء !

قالت : من أى مضر ؟

قال : من أكرمها نسباً ، وأعظمها حسباً ، وخيرها أمّا وأبا ، ممن تهابه مضر كلها !

قالت : أظنك من كنانة !

قال : أنا من كنانة !

قالت : فمن أى كنانة ؟

---

(١) الوكاء : الرباط .

(٢) فقد جاء أسلوبها سليماً نحوياً فكلمة «فاها» مفعول به منصوب بالألف ، وفوها فاعل مرفوع بالواو ، و«بفيها» مجرور بالياء وهى مضافة للضمير بعدها : «ها» .

(٣) يُقْرُون : يطعمون ويقدمون له القِرى .

قال : أنا من قريش .

قالت : من أى قريش ؟

قال : من أجملها ذكراً ، وأعظمها فخراً ، ممن تهابه قريش كلها وتخشاه !

قالت : أنت والله من بنى هاشم !

قال : أنا من بنى هاشم .

قالت : من أى هاشم ؟

قال : من أعلاها منزلة ، وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه .

قال : فعند ذلك عرفت من هو وقالت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين .

قال : فعجب المأمون ، وطرب طرباً عظيماً وقال : والله لأتزوجن بهذه الجارية .

ووقف حتى لحق به عسكره ، فنزل وأنفذ خلف أبيها وخطبها منه فتزوج بها .

وعاد مسروراً ، وقد ولدت له ولده العباس !

* اطلب لنفسك لَبَّةً فلستُ من نسائك !!

مرت جارية لأُمَيَّةَ بنِ عبدِ الله بن خالد بن أسيد ـــ ذاتُ ظَرفٍ وجَمال ـــ برجل من بنى سعد وكان شجاعاً فارساً .. فلما رآها قال :

طُوبىَ[1] لمن كانت لَهُ امرأة مِثْلُك !!

(١) طُوبَى : منزلة رفيعة.

ثم إنه أتبعها رسولاً يسألُهَا : ألها زوج ؟ وَيذْكُرهُ لها[1] فقالت للرسول : ما حِرفتُه ؟

فأبلغه الرسولُ قولهَا ، فقال : ارجع إليها فقل لها :

وسائلةٍ ما حِرْفَتى ؟ قلنا : حرفتى ... مقارعةُ الأبطالِ فى كُلِّ شارقِ[2]
إذا عَرضَتْ لىَ الخيل يومًا رأيتنى ... أمام رعيلِ الخيل أحمى حقائقى[3]
وأصبِرُ نفسى حين لاحُرَّ صابِرٌ ... على ألَمِ البِيض الرّقَاق البوارِق[4]!

فأنشدها الرسول ما قال .. فقالت له :

ارجِع إليه وقل له :

أنت أسد فاطلب لنفسك لَبُؤَة ، فلست من نسائك . وأنشدت تقول :

أَلَا إنما أبغى جوادًا بما له ... كريما مُحَيّاهُ قليلَ الصدائـق
فتًى همُّـهُ مُذْ كان خَوْدٌ كريمة ... يُعَانِقُها باللّيل فوقَ النمارِق[5]

✻ وافق شَنٌّ طبَقَة

هل الشّن وعاء اتخذ له غِطاء فوافقه فقالوا وافق شَنٌّ طبقه ، أم هما غير ذلك ؟

هناك قصة طريفة تروى فى تفسير هذا المثل :

كان شن رجلاً من دُهاةِ العرب ، وقد قرر فى نفسه ألا يتزوج إلا بامرأة تلائمه .

فظل ينتقل من بلد إلى بلد بحثاً عن الزوجة الملائمة .

فصاحبه رجل فى بعض أسفاره ، وفى الطريق قال له شن :

أتحملنى أم أحملك ؟

---

(١) يذكر لها ذلك الفارس من بنى سعد لعلها ترغب فيه !
(٢) مقارعة : مقاتلة . (٣) الحقائق جمع حقيقة : مايجب على الإنسان أن يجمعه .
(٤) البيض الرقاق البوارق : السيوف القواطع جمع أبيض .
(٥) العقد الفريد . والخود الفتاة الناعمة . والنمارق جمع نمرقة . مايفرش .

فقال له الرجل :

يا جاهل ، أوَ يحمل الراكب راكباً ؟ !

فأمسك عن الكلام حتى أتيا زرعاً ، فقال له شن : أتُرَى هذا الزّرع أُكِلَ أم لا ؟ فقال الرجل :

أما تراه فى سُنْبُله ؟

فأمسك عن الكلام إلى أن استقبلتهما جنازة ، فقال له شن :

أترى صاحبها حيًّا أم لا .

فقال الرجل لشن : مارأيت أجهلَ منك !

أتراهم حملوا إلى القبر حَيًّا ؟ !

ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل ، فسار به إلى منزله ، وكانت له ابنة تسمى «طبقة» ، وأخذ أبوها يُطْرِفُهَا بحديث رفيقه شن ، فقالت له :

مانطق إلا الصواب ، ولا استفهمك إلا عما يستفهمه ذوو الألباب !

أما قوله : أتحملنى أم أحملك ؟

فإنه أراد : أتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث .

وأما قوله :

أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ !

فإنه أراد : هل استلف أربابه ثمنه أم لا ؟ !

وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة ، فإنه أراد به : هل خلّف عَقِباً يُحْيى ذكْرَه من بعده أم لا ؟ .

فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنته وكلامها ، فخطبها إليه ، فزوجه إياها ، فلما سار بها إلى قومه وخبروا مافيها من الدهاء والفطنة قالوا :

وافق شَنٌّ طبقة

فسار مثلاً .

* ما كنت لأطيقه فى الملا وأعصيه فى الخلا !

كان عمر بن الخطاب يتفقد أحوال الرعيّة ، وإذا امرأة تقول لابنتها : قومى إلى اللبن فامزجيه بالماء !

فقالت : ياأمّاه ، أو ما سمعت منادى الخليفة ينادى : لا يُشَابُ اللبن ؟ ! (لا يخلط بالماء) .

فقالت لها الأم : إنك بموضع لا يراك الخليفة ، ولا مناديه ! فقالت الصبية : والله ما كنت لأطيعه فى الملا ، وأعصيه فى الخلا !

فلما سمع الخليفة كلامها عرف الموضع وانتظر إلى الصباح فبعث خادمه لينظر من القائلة ؟ ومن المقول لها ؟ وهل لها من عائل ؟

فعلم أن ليس لهما من يعولهما .. وعندئذ جمع عمر أولاده وقال لهم : هل فيكم من يحتاج إلى الزواج فأزوجه ، إذ لو كان لأبيكم حاجة إليه لما سبقه أحد منكم إلى هذه الصبية ، فتزوجها واحد من أولاده .. وكان من نسلها الخليفة العادل خامس الراشدين : عمر بن عبد العزيز .

* موعد فلقاء !!

قال ابن الجوزى :

بلغنا أن «كُثَيِّر عزّة» لقى «جميلاً» فقال له :

متى عهدك ببثينة ؟

قال : مالى بها من عهد منذ عام ! وهى تغسل ثوباً بوادى الدّوم ، فقال له كُثَيِّر :

تحب أن أعهدها لك اللَّيْلَة ؟

قال : نعم .

فأقبل راجعاً إلى بثينة ، فقال له أبوها :

يا فلان ، ماردّك، أما كنت عندنا قبيل ؟

قال : بلى ، ولكن حضرتنى أبيات قلتها فى عزة .

• قال: وما هى ؟

قلت :

فقلت لها : ياعزّ أرسل صاحبى ... على باب دارى والرسول مُوَكّلُ
أما تذكرين العهد يوم لقيتُكُم ... بأسفَلِ وادى الدومِ والثوب يُغْسَلُ

فقالت بثينة : اخسأ !!

فقال أبوها :

ما هاجك يا بثينة ؟ !

قالت : كلب لا يزال يأتينا من وراء الجبل بالليل ، وأنصاف النهار .

قال : فرجع إليه ، فقال:

قد وعدَتْك من وراء هذا الجبل بالليل ، وأنصاف النهار ، فالْقَها إذا شئت !

* إن المحبّ إذا مااشتاق زوّارُ *

عن الأصمعى قال :

كان بشر بن مَرْوان شديداً على العُصاة ، فكان إذا ظفر بالعاصى أقامه على كرسىّ ، وسمّر كفّيْه فى الحائط بمِسْمار ،ونزع الكرسى من تحته فيضطرب معلقاً حتى يموت !

وكان فتى من بنى عِجْل مع المهلّب وهو يحارب الأزارقة ، وكان عاشقاً لابنة عمه فكتبت إليه تستزيره[1] ، فكتب إليها :

لولا مخافة بشر أو عقوبته ... أوْ أن يُشَدّ على كَفّىَّ مِسْمارُ
إذن لعطّلْت ثغرى ثم زرتُكُمُ ... إن المحب إذا ما اشتاق زوّارُ[2]

(*) الأمالى لأبى على القالى .

(١) تطلب منه الحضور لزيارتها .

(٢) عطلت ثغرى : تركت موقعى فى الدفاع عن الثغر والحراسة . وزوار : صيغة مبالغة تفيد كثرة الزيارة عند الشوق .

فكتبت إليه :

ليس المحبُّ الذى يخشى العقاب ولَوْ ... كانت عقوبتَه ــ فى إلْفه ــ النارُ[1]
بل المحبُّ الذى لا شيءَ يمنعه ... أو تستقِرّ ومن يَهْوَى به الدارُ[2]

فلما قرأ كتابها عطل ثغره ، وانصرف إليها وهو يقول :

أستغفر الله إذْ خِفْتُ الأميرَ ولم ... أخشَ الذى أنا منه غيرُ منتصرِ
فشأن بشرٍ بلحمى فليعذّبــه ... أو يَعْفُ عَفْوَ أميرٍ خير مقتدرِ
فما أُبالى إذا أمسيتِ راضيةً ... يا هندُ ــ ما نيلَ من شَعْرِى ومن بَشَرى[3]

ثم قدم البصرة ، فما أقام إلا يومين حتى وشى به[4] واشٍ إلى بشر ، فقال : عَلَىّ به[5] ! فأُتِى به فقال :

يا فاسق ! عطّلْتَ ثغرك !

هَلُمّوا[6] الكرسىّ !

فقال : أعز الله الأمير ! ، إن لى عذراً !

فقال : وما عذرك ؟

فأنشده الأبيات ؛ فرق له ، وكتب إلى المهلب ، فأثبته فى أصحابه !

---

(١) الإلْف : الأليف والحَبيب .
(٢) لا يهدأ قلبه حتى تجمعه بمن يحب دار .
(٣) مانيل : ما أصابنى وما حَلّ بشَعْرى وجسمى وبشَرتى .
(٤) نمّ عليه ، ونقل خبره .
(٥) علىّ به : هاتوه .
(٦) هلمّوا : هاتوا أو أقبلوا علىّ به . أو هيا إليه .